

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

دراسة جديدة حول المدلولات الفلكية والدينية لبعض زخارف الإبريق المنسوب الى مروان بن محمد^(*) دكتور / عبدالمنصف سالم نجم

لاتزال الفنون الإسلامية معين لا ينضب ، وستظل القطع الفنية والتحف الإسلامية، التي تحتفظ بها المتاحف العالمية مقصداً لعدد كبير من الباحثين، وتقف دليلاً على تقدم المسلمين في جميع مجالات الحياة .

وقد تميز الفن الإسلامي بأن الزخارف الهندسية تمثل احداهم مقوماته الفنية ، وقد تعدت هذه الزخارف - على بعض القطع الفنية والتحف - مجرد كونها زخارف هندسية فحسب بل كان لها مدلولات أخرى بعضها مرتبط بعلم الحساب والفلك والبعض الآخر له مدلولات دينية . وهذا ما سأحاول جاهدا توضيحه من خلال دراستي لبعض زخارف الإبريق المنسوب إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بنو أمية ، فمن خلال الملاحظة الدقيقة لزخارف هذا الإبريق تبين أن الزخارف الهندسية المتمثلة في الدوائر تعدت كونها مجرد أشكال هندسية وكان لها مدلولات أخرى ، وكذلك أشكال الأهلة ، والأشكال المشعة والدوائر الصغيرة التي كانت لها مدلولات مرتبطة بعلم الفلك كما أن لها علاقة بمواقيت تأدية بعض الشعائر والعبادات . وهذا الإبريق لا يقف دليلاً على سماحة المسلمين واستفادتهم بخبرات الأمم السابقة فحسب بل ينهض دليلاً قوياً على ريادة المسلمين وتقدمهم في علوم الحساب والفلك ، كما ينهض دليلاً قوياً على ورع المسلمين وتقواهم وتسخير بعض القطع الفنية لخدمة شعائرهم الدينية . ولقد قمت باستخلاص بعض النتائج الهامة من خلال دراسة وتحليل بعض الأشكال والزخارف التي يزدان بها هذا الإبريق، وأرجو أن تلقى هذه الدراسة قبولاً واستحساناً أسأتذتي، وتكون إضافة جديدة للدراسات التي سبقت وتناولت هذا الإبريق^(١). ومن المعروف أن هذا

(*) د. / عبد المنصف سالم حسن نجم: مدرس بقسم الآثار والحضارة : كلية الآداب . جامعة حلوان .

١ - تناولت العديد من الدراسات السابقة هذا الإبريق لعل من أهمها :

أ . بحث للمرحوم أ.د . حسن الباشا : ضمن كتاب (القاهرة تاريخها وآثارها - القاهرة سنة ١٩٧٠ من ص ٥٠٧ الى ص ٥١٣) .

ب . تناولت كذلك المرحوم أ.د . محمد عبد العزيز مرزوق في كتابه (الفنون الزخرفية في مصر قبل العصر الفاطمي - الطبعة الاولى - مكتبة الأنجلو المصرية طبعة سنة ١٩٧٤ ص ١١٠) =

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

الإبريق عثر عليه فى قرية أبو صير الملق بالفيوم فى انقاض قبر يعتقد أنه قبر مروان بن محمد آخر خلفاء بنو أمية الذى قتل سنة ١٣٢هـ ، وهو من البرونز ويبلغ ارتفاعه ٤١سم ، وقطره ٢٨سم ويتألف من بدن منتفخ كروى وقاعدة متوسطة الارتفاع ورقبة طويلة تنتهى بفوهة مزخرفة بالتفريغ ومقبض يصل بين كل من الرقبة والبدن ويزخرف المقبض من أعلاه حلية بهيئة أربعة طيور متدايرة تعلوها حلية صغيرة ، ولهذا الإبريق صنوبر بهيئة ديك يصيح ، وما يخصنا من زخارف هذا الإبريق هى العناصر الزخرفية قيد البحث .

فمن الملاحظ أن البدن الكروى للإبريق مزخرف بأشكال عقود يعلوها أهلة ، ونلاحظ أن الأهلة الموجودة على يسار المقبض بها سبع دوائر أو سبع أشكال كروية ، والأهلة الموجودة على يمينه بها ستة دوائر، كما توجد سبعة دوائر أخرى فوق بعضها البعض على يمين الحلية الزخرفية التى تصل بين المقبض والبدن ، ونلاحظ أن العقود التى تزين البدن بأسفل كل عقد يوجد شكل مشع وسوف نقوم فيما يلى بتحليل مدلول أشكال الأهلة والدوائر التى تزينها والأشكال المشعة .

ومن الملاحظ أن رقبة الإبريق والمساحة المحصورة بين الرقبة والبدن مزخرفة بسبع وعشرون دائرة كانت لها مدلولاتها أيضا على نحو ما سيأتى بعد .
ومن الملاحظ كذلك أن العقود التى تزين البدن تتركز على تيجان بهيئة مثلثات متساوية الاضلاع موضوعة على قاعدتها بحيث يتركز كل مثلث على عمودين ولهذه المثلثات دلالتها كذلك .

ولهذا الإبريق صنوبر على هيئة ديك يصيح بالإضافة الى وجود أربعة طيور تعلو مقبض الإبريق ، وتتجه هذه الطيور صوب الاتجاهات الأربعة وقد كان لهذه الطيور دلالتها أيضا على نحو ما سيأتى .

زخارف الأهلة التى تزين بدن الإبريق ومدلولاتها :

لنبداً حديثنا عن أهم الزخارف التى تزين هذا الإبريق ألا وهى أشكال الأهلة والتى كانت لها مدلولات فى غاية الأهمية جديرة بالتحليل والدراسة ، ونلاحظ أن كل عقد من العقود التى تزين بدن الإبريق يعلوها شكل هلال حيث نلاحظ بالبدن على يمين المقبض ثلاثة أهلة ، وعلى

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

يساره ثلاثة ، والهلال كما يذكر الفيروز أبادى هو غرة القمر أو لليلتين أو الى ثلاثة أو الى سبعة ، ولليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وعشرين وفى غير ذلك قمر (٢)

وقد عبرت معظم الحضارات والأديان عن القمر بشكل الهلال وقد اختلفت مدلولاته باختلاف العقائد والأديان حيث نلاحظ ان مدلولاته اختلفت فى العصر الاسلامى عنه فى العصور السابقة . فى مصر القديمة كان إلتقاء الهلال مع النجم يعنى شهر ، وكان تعنى كذلك عيد نصف السنة وينطق (نت) (٢)

أما فى بلاد ما بين النهرين فقد ارتبط القمر قديما بالفأل وكانت له مدلولات عقائدية عديدة (٤) وعند الإغريق كان القمر يرمز إلى ديانا والتي كانت تنشر ضوءها فى أعماق الليل (٥) ، وكان يرمز كذلك الى سيلينا والتي كانت تصور بهيئة سيدة على رأسها هلال ويحيط بها سبع نجوم (٦)

أما فى العصر الساسانى فقد إنتشرت زخرفة النجوم والأهلة وكانت تزين تيجان ملوك الدولة الساسانية (٧) ونقشة الشاه خسرو على نقوده واتخذها شعارا لدولته (٨) وكان الهلال كذلك شعارا لمملكة الرومان الشرقية (٩) .

٢- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي) ت ٨١٧ هـ : القاموس المحيط ، الجزء الرابع ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٩٦ .

٣- Gardindr (A) : Egyptian Grammer, 3rd Edition, Oxford 1979, P. 487 N. 14 – P. 486, N. 13

٤- راجع أحمد عبد الرحمن عابدين : الفأل " دراسة فى المضمون الدينى وأثره فى الحياة السياسية والاجتماعية فى بلاد النهرين " - مخطوط ماجستير - المعهد العالى للحضارة الشرق الادنى القديم ، قسم بلاد النهرين - ايران- جامعة الرقازيق سنة ٢٠٠٠ ص ١٤٢ ، ١٤٣

٥- كوملان : الأساطير الإغريقية والرومانية - ترجمة أحمد رضا محمد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢ ص ٣٩

6 -A.H. Smith (M.A.) : A Catalouge of sculpture in department of Greek Roman Antiquities, British Museum London 1904 – vol III P. 231

٧- محمد عبد القادر محمد : إيران منذ فجر التاريخ وحتى الفتح الإسلامى، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢ - مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٢٣١ شكل ٥٧ ص ١٠ .

٨- عبد الرحمن زكى : العلم المصرى ، مطبعة وزارة الدفاع الوطنى سنة ١٩٤٠ ص ١٠ .

٩- كان سبب اتخاذ الرومان للهلال شعارا لهم حيث يذكر أن فيليب المقدونى والد الاسكندر حاصر بيزنطة فى ليلة حالكة ولما اقترب منها ظهر الهلال فى الأفق وقت السحر وقبل ظهور القمر من

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

أما مدلول الهلال عند المسلمين وهو موضوع تركيزنا حيث وجد الهلال على بدن هذا الإبريق فنلاحظ أن الأهلة وردت ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ففي سورة البقرة آية ١٨٩ يقول الله تعالى (يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) ويذكر ابن كثير في تفسير ذلك أن الأهلة يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم (١٠) كما ذكر ابن منظور أن الأهلة مواقيت لما يحتاج اليه المسلمون من معرفة أوقات الحج والصوم ومحل الدين (١١)

وكان الهلال عند المسلمين يعنى بداية شهر عربى جديد كما أنه ميفات للحج والصوم فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله فى الحديث الشريف " صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً " (١٢)

وعلى هذا فوجود الهلال على بدن هذا الإبريق يرمز الى الشهور العربية كما يرمز الى المواقيت خاصة مواقيت الصلوات الخمس وهو بذلك يناسب وظيفة الإبريق الذى كان يستخدم أغلب الظن فى الضوء للصلاة حيث يعتبر الضوء هو أول شعائر الصلاة ، والصلاة لها علاقة كبيرة بالمواقيت لقوله تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) ، كما أن وجود ثلاثة أهلة على كل جانب من جوانب الإبريق يمكن الربط بينها وبين فصول السنة الأربعة (الربيع والصيف والخريف والشتاء) وكل فصل من هذه الفصول على حد قول المقرئى يتكون من ثلاثة بروج حيث يتكون الربيع من (الحمل والثور والجوزاء) والصيف من (السرطان والأسد والسنبلة) والخريف من (الميزان والعقرب والقوس) والشتاء من (الجدى والدلو والحوت) (١٣) وكل فصل يتكون من ثلاثة شهور ، وعلى هذا فكل ثلاثة أهلة على بدن الإبريق ترمز الى الفصل الذى يتكون بدوره من ثلاثة شهور أو ثلاثة بروج عبر عنها بثلاثة أهلة .

-
- وراء السحاب بدا طرفاه كالهلال فكشف لأهلها مواقع المحاصرين فدفعوهم عنها وتيمينوا به فجعلوه شعارهم وصوروه على أبنيتهم ونقودهم وبقي هذا الشعار لهذه المدينة إلى أن فتحها العثمانيين (عبد الرحمن زكى ، المرجع السابق، ص ١٠)
- ١٠- ابن كثير (أبى الفداء إسماعيل) ت سنة ٧٧٤ : تفسير القرآن العظيم الجزء الأول مكتبة التراث بدون تاريخ نشر ص ٢٢٥
- ١١- ابن منظور : (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الانصارى) ت ٧١١هـ : لسان العرب - الجزء السادس - تحقيق عبد الله على الكبير - دار المعارف - بدون تاريخ ص ٤٣٥٨
- ١٢- السيد سابق : فقه السنة ، المجلد الأول (العبادات) مكتبة التراث سنة ١٣٦٥هـ ص ٣٦٧ .
- ١٣- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد) ت ٨٤٥هـ ، : المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول، طبعة مكتبة الآداب، سنة ١٩٩٦، ص ٩.

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

الإشكال الدائرية التي تزين الأهلة ومدلولاتها :

لعل من بين الزخارف الهامة التي تزين بدن هذا الإبريق هي الدوائر أو الأشكال الكروية حيث رأينا هذه الدوائر تزين الأهلة ، كما أنها تزين بدن الإبريق حيث نلاحظ أن الأهلة التي تزين بدن الإبريق والواقعة على يسار المقبض يوجد بكل منها سبع دوائر أو سبع أشكال كروية كما يوجد بالأهلة التي تزين البدن والواقعة على يمين المقبض ستة دوائر ، كما يوجد سبع دوائر أخرى تعلق بعضها البعض على يمين القبض (لوحة ٦، ٣، ٢) .

وإذا نظرنا إلى مدلول زخرفة الدوائر نلاحظ أن الدوائر كان يرمز بها للكواكب (١٤) حيث أورد البيروني في حديثه عن الكواكب أن هناك عجز عن ضبط أجزاء الدائرة الكبرى (الكواكب) بالدائرة الصغرى (آلات المرصد) (١٥)

وإذا نظرنا إلى السبع دوائر التي كانت تزين الأهلة فهذه الدوائر السبعة ترمز إلى الكواكب السبعة التي ترمز بدورها إلى أيام الأسبوع السبعة ، وكان لهذه الكواكب السبعة قدسيتها منذ القدم فقد كان الكلدانيين في أرض الجزيرة وبلاد الشام (عند نزول ابراهيم الخليل وزوجته سارة) يعبدون هذه الكواكب السبعة ، وكان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعياد وقرابين (١٦)

كما آمن الآشوريين بالكواكب السبعة ، وكان الرقم سبعة مقدساً وكثيراً ما تيمنت به الأساطير والمعتقدات والروايات الأدبية ... وأصبح هذا العدد تشهد عليه أيام الأسبوع التي بقيت محافظة على أسماء الكواكب السبعة ، الأحد (يوم الشمس)، والاثنين (يوم القمر) والثلاثاء (يوم المريخ) والأربعاء (يوم عطارد) والخميس (يوم المشتري) والجمعة (يوم الزهرة) ، والسبت (يوم زحل) (١٧)

وقد عرفت هذه الكواكب السبعة السيارة عند العرب وكان يقال لها السبع الخنس وقيل هي التي عناها الله بقوله (فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس) والتي عناها بقوله تعالى (

١٤- عفيف بهنسى : معانى للنجوم فى الرقش العربى (بحث) ضمن أعمال الندوة العالمية المنعقدة فى استانبول -

ابريل سنة ١٩٨٣ - دار الفكر العربى بدمشق سنة ١٩٨٩ ص ٦١

١٥- البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى) الاثار الباقية عن القرون الخالية - لبيزج سنة

١٨٧٨ ص ١٠

١٦- بن كثير (ابى الفداء اسماعيل) ت سنة ٧٧٤ : قصص الأنبياء - مطبعة الأخوة بجدة، بدون تاريخ ص ١٣١٠

١٧- عفيف بهنسى: المرجع السابق ص ٥٤

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

فالمدبرات أمر) ... والخنس منها خمسة وتضاف إليها الشمس والقمر لتصبح سبعة ، وقد نظمت فى بيت شعرى على النحو التالى :

زحل مشتري مريخه من شمسه فتزاهرت بعطارد الأقمار (١٨)

وعلى هذا فإن هذه الدوائر السبعة التى وجدت تزين الأهله التى تزخرف بدن الإبريق ماهى إلا إشارة الى الكواكب السبعة (الشمس والقمر والمريخ وعطارد والمشتري والزهرة وزحل) التى تعبر عن أيام الأسبوع السبعة ، وقد أورد البيرونى جدولاً بأسماء هذه الكواكب السبعة بالعربية والرومية والفارسية والسريانية والعبرانية والخورزمية (١٩)

ونلاحظ ان الفنان الذى قام بصناعة هذا الإبريق أراد أن يعبر عن الشهر برسمه الهلال وأراد أن يعبر عن أيام الأسبوع السبعة برسمه السبع دوائر داخل هذا الهلال نفسه .

ومن الملاحظ أن الأهله التى تزين بدن الإبريق على يمين المقبض يوجد بكل هلال ستة دوائر ، وهذه الدوائر ربما ترمز الى أيام الأسبوع السبعة أيضاً (شكل-٢) على اعتبار أن الستة دوائر ترمز الى الكواكب الستة (الشمس والمريخ وعطارد والمشتري والزهرة وزحل) أما اليوم السابع فهو (يوم القمر) والذى رمز اليه بشكل الهلال الذى يحتوى على الدوائر الستة أو الكواكب الستة أى أن كل دائرة ترمز الى كوكب وبالتالي ترمز الى يوم واليوم السابع يرمز اليه الهلال نفسه، (شكل-٢)

ويمكن الربط بين هذه الدوائر الستة التى تزين الأهله التى تزين الجانب الأيمن من بدن الإبريق وبين البروج الستة حيث كان نصف الفلك يتكون من ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الأرض ، ونصفه الآخر ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الأرض (٢٠) .

ويمكن الربط بينها أيضاً وبين الجهات الستة وهى الشرق ويكون من حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب فى كل قطر من الأفق ، والغرب وهو حيث تغرب ، والشمال وهو حيث مدار الجدى والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل ، والفوق وهو مايلى السماء والتحت وهو مايلى مركز الأرض (٢١) أى أن هذه الدوائر الستة كان لها أكثر من مدلول حيث ترمز الى أيام الأسبوع أو الى البروج الستة أو إلى الإتجاهات الستة .

١٨- المقريزى : المرجع السابق ص ٧

١٩- البيرونى : المرجع السابق ص ١٩٢

٢٠- المقريزى المرجع السابق ج١ ص ٩ .

٢١- المرجع نفسه ج١ ص ١٢، ١٣ .

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

الزخارف المشعة التي تزين بدن الإبريق والتي ترمز الى قرص الشمس
ولعل من الزخارف الرائعة التي تزين بدن هذا الإبريق هي تلك الاشكال الدائرية المشعة التي نفذت أسفل العقود ، وهذه الدوائر المشعة ما هي إلا رمزا لقرص الشمس حيث كان يعبر عن الشمس أحيانا بالدائرة^(٢٢) فنلاحظ أن بدن الإبريق مزدان بدوائر مشعة كل دائرة يتوسطها دائرة صغيرة تمثل قرص الشمس ويشع من هذه الدائرة خطوط تعبر عن ضوء الشمس ونلاحظ أنه يوجد بأسفل كل هلال قرصا للشمس (لوحة ٢-) .

وكان للشمس قديما مدلولات عديدة حيث كانت تعبد قديما ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وقد ورد فى سورة الأنعام آية (٧٨) (فلما رآ الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون) وكذلك كانت الشمس تعنى عند المصريين القدماء الإله رع وعبدت منذ أقدم العصور فى عدة أماكن من مصر وكانت الشمس ترمز عند المنجمين إلى ملك الكواكب .^(٢٣)

وقد استخدم قرص الشمس كذلك فى التقويم حيث أورد البيرونى أن أهل القسطنطينية والاسكندرية ، وأهل مصر وفارس والعبرانيين واليهود كانوا يتعاملون بحساب السنين الشمسية، وقد كان هناك فروق فى التقويم بين كل فئة من هذه الفئات.^(٢٤)

وكانت الشمس ترمز عند العرب والمسلمين كذلك الى العام ، ووجودها على بدن هذا الإبريق إنما هو للإشارة الى السنة حيث كانت الشمس وتنتقلها فى البروج الإثني عشر تكون أزمان السنة الشمسية^(٢٥) وقد كان وجود هذا الشكل المشع على بدن هذا الإبريق إنما يرمز الى قرص الشمس وكأن الفنان أو صانع هذا الإبريق أراد أن يجمع بين الشمس والقمر والكواكب السبعة كى

٢٢- عفيف بهنسى: المرجع السابق ص.٥٨.

23- Rachel (H.) : An enamelled bowl with “ soloman’s seal “ the meaning of pattern (Gilded and enamellid Glass from the middle east, British museum . 1998 , P. 43)

٢٤- البيرونى : المرجع السابق ص ١٠ .

٢٥- المقرئى : المرجع السابق، ص.١٢.

٢٦- أحمد عبد الرحمن عابدين المرجع السابق ص ٢٤

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

يعبر عن السنة والشهر وأيام الأسبوع السبعة (شكل-١) كما عبر بالصنوبر الذى على هيئة ديك يصيح عن بزوغ فجر كل يوم من هذه الأيام السبعة (لوحة ٥) .

وقد لاحظنا أن الفنان قام بتمثيل قرص الشمس وفوقها القمر أو الهلال على بدن هذا الإبريق ، وقد كان وقوف الشمس فوق أو تحت القمر قديما فى بلاد ما بين النهرين يعنى بشير خبير وثبات واستقرار العرش^(٢٦)

واشتهر العصر الساسانى بتمثيل الشمس والقمر مجتمعين حيث وجدا يزينان قمة تاج الملك كسرى الثانى فقد كان يوجد الهلال وفوقه قرص الشمس^(٢٧) وكانت بعض الأعلام الملكية الفارسية عليها صورة الشمس بلون بنفسجى، ومن فوقها القمر مذهب^(٢٨) وعند المسلمين كان الشمس والقمر رمزا للضياء والنور حيث ورد فى سورة يونس آية (٥) (هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وجعل الله سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل^(٢٩) وبذلك يكون التقاء الشمس والقمر على الإبريق بالإضافة الى انه يرمز الى العام والشهر فهو يرمز الى النهار والليل واجتماع الشمس والقمر والكواكب رمزا للسماء بشكل عام .

زخارف المثلثات التى تزين بدن الإبريق ومدلولاتها :

نلاحظ أن الأعمدة التى تزين بدن الإبريق يعلوها مثلثات يرتكز عليها العقود والأهلة ولنتساءل لماذا استخدم الفنان هذه المثلثات كطبالي لتيجان للأعمدة ولم يستخدم الطبالي المألوفة التى رأيناها فى العمائر والفنون على حد سواء ؟... فلو كان هدف الفنان مجرد الزخرفة لإستخدم طبالي التيجان المألوفة التى استخدمت فى العمائر التى ظهرت كعنصر زخرفى يزين الفنون المختلفة ، ولكن كان هدف الفنان على ما يبدو أبعد من ذلك بكثير ، فقد لاحظ الفنان أنه رمز إلى السماء بالأهله والكواكب والشمس، لذلك أراد عنصرا يرمز به الى الأرض فاستخدم المثلث... فإلى جانب أن المثلث كان يرمز إلى التكامل والانسجام ، فقد كان له بعض المدلولات حيث كان

٢٧- ارثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين . ترجمة يحيى الخشاب . الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

سنة ١٩٩٨ ، ص ٤٤٢ .

٢٨ - المرجع نفسه: ص ٢٠١ .

٢٩- أبين كثير : تفسير، المرجع السابق ج٢ ص ٤٠٧

٣٠- عفيف بهنسى : المرجع السابق ص ٥٨ ، شكل (٨).

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

المثلث المقلوب الموضوع على رأسه ∇ يرمز إلى السماء والمثلث الموضوع على قاعدته Δ يرمز إلى الأرض^(٣٠) (شكل - ٢،١) (لوحة ١،٢،٣)

وقد لاحظنا أن المثلثات التي تزين بدن الإبريق وضعت في وضع أفقى (على قاعدتها) وهى بذلك ترمز إلى الأرض ، وكأن لسان حال الفنان أو الصانع الذى صنع هذا الإبريق يقول أننى عبرت عن السماء بالشمس والقمر والكواكب السبع وعبرت عن الأرض بهذا المثلث إذن فهو جمع بشكل رمزى بين كل من السماء والأرض فى زخارف هذا الإبريق (شكل - ١) .

الاشكال الدائرية التي تزين أعلى البدن والرقبة ومدلولاتها :

ولعل من أروع الزخارف التي تزين بدن هذا الإبريق هى الزخارف الدائرية التي تزين المساحة المحصورة بين الرقبة والبدن ، حيث بلغ عدد هذه الدوائر عشرة، وقد وجدت خمسة على يمين المقبض ، وخمسة على يساره ، ويفحص هذه الدوائر تبين أنها مزخرفة بخطوط يصل عدد بعضها إلى اثني عشر خط في كل دائرة وهى تعبر عن ساعات الليل الإثني عشر . ولو قمنا بتفسير هذه الدوائر نجد أن الدوائر ترمز إلى الكواكب^(٣١) وكانت الكواكب ترمز إلى الأيام ولو نظرنا إلى هذه الدوائر العشر من حيث المدلول الدينى نجد أن هذه الدوائر كان لها مدلول دينى وكانت لها علاقة وثيقة بالصنبور الذى مثل بهيئة ديك حيث ترمز هذه الدوائر إلى الليالى العشر التى أقسم بها الله فى سورة الفجر آية (١ ، ٢) (والفجر وليال عشر) والفجر هنا كما يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية أن الفجر هو إنفجار الظلمة عن النهار من كل يوم وذكر أيضا أنه صلاة الصبح^(٣٢) . إذن فقد عبر الفنان عن الفجر بتمثيل الديك وهو يصيح وعن الليالى العشر بتمثيل العشر دوائر (شكل - ٤) ، وهذه الليالى العشر كما ذكر الطبرى هى الليالى العشر من ذى الحجة وما أورده الطبرى عن ابن عباس هى الليالى العشر الأواخر من رمضان^(٣٣) وهى ليالى يستحب فيها العبادة وهى تناسب وظيفة هذا الإبريق الذى كان يستخدم فى الوضوء لأداء الصلاة التى هى جوهر هذه العبادة .

٣١- المرجع نفسه: ص ٦١

٣٢- القرطبي (أبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى) ت سنة ٦٧١ هـ : الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧، ص ٣٨، ١٧٩

٣٣- المرجع نفسه: ص ٣٩ .

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

وقد كان صانع هذا الإبريق دقيق في تمثيل العشرة دوائر في المساحة الواقعة بين البدن والرقبة ومثل الديك أو الصنبور في نفس هذا الجزء وكان تمثال الديك يتوسط هذه الدوائر حيث نفذ الفنان خمسة على يمينه وخمسة على يساره للتعبير عن ضوء الفجر والليالي العشر. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الفنان المسلم حاول جاهداً تسخير تحفته الفنية لخدمة دينه وخدمة عقيدته كما تتم عن الرمزية في الفن الإسلامي.

ومن بين الزخارف التي كان لها مدلول فلكي هي تلك الدوائر التي كانت تزين رقبة هذا الإبريق حيث إزدانت رقبة الإبريق بسبعة عشر دائرة ، منها ثمانية في صفين على يمين المقبض كل صف يتكون من أربعة دوائر ، وثمانية على يساره في صفين أيضاً وكل صف يتكون من أربعة دوائر تملأ بعضها البعض (شكل-٣) ، كما نلاحظ وجود دائرة منفردة تزين رقبة الإبريق وترتفع خلف الصنبور وهذه الدوائر يمكن الربط بينها وبين البروج السبعة عشر وهي (الحمل ، والكبش ، والثور ، والجوزاء ، والتوءمان والسرطان والاسد والسنبلة والعذراء والميزان والعقرب والقوس والرامي والجدى والدلو والحوث والسمة) وهذه الأبراج السبعة عشر أورد البيروني أسماء لها بالعربية والرومية والفارسية والسريانية والعبرانية والهندية والخورزمية^(٣٤) وهذه البروج مثلها مثل الكواكب كان يعبر عنها برسوم الدوائر ، وهذا دليل آخر على مدى تقدم العرب في علوم الفلك والحساب في هذه الفترة المبكرة .

زخارف الطيور ومدلولها :

لعل من بين الزخارف الهامة التي تزين هذا الإبريق هي زخارف الطيور وقد كان نوع هذه الطيور لها مدلول ووضعها له مدلول أيضاً . أما عن نوع هذه الطيور فقد أختار الفنان صنبور الإبريق ، بهيئة ديك يصيح وهو يرمز إلى آذان الفجر^(٣٥) وهو بالتالي يرمز إلى ميلاد فجر جديد لليالي العشر التي عبر عنها بالدوائر التي تزين المساحة الواقعة بين الرقبة والبدن ، كما يرمز إلى ميلاد يوم جديد من أيام الأسبوع السبعة التي رسمهم بهيئة دوائر داخل الأهلة (شكل ٥) .

أما فيما يختص بوضع الطيور فالجديد هنا والتمتص إلى حد بعيد بالفلك هو أن مقبض الإبريق يعلوه أربعة طيور متدايرة وتتجه ناحية الجهات الأربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب

٣٤- البيروني : المرجع السابق ص ١٩٣

٣٥- حسن الباشا : المرجع السابق ص ٥١٠

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣

(وهذه الطيور ربما ترمز بالفعل للجهات الأربعة أو الفصول الأربعة (الربيع والصيف والخريف والشتاء) أو أركان الكون الأربعة (النار والهواء والماء والتراب) (٣٦) أو ربما ترمز الى أجزاء الأرض الأربعة حيث يرى أردشير بن بابك أن أجزاء الأرض أربعة جزء للترك، وجزء للعرب ، وجزء للفرس ، وجزء للسودان . (٣٧)

كما كان الرقم أربعة له مدلول مقدس عند تلاميذ فيثاغورس حيث كانوا يعتبرونه الرباعي المقدس الذى يضم أصل العالم ومنبع هذا الخلق المتدفق إلى الأبد (٣٨)

ولكن على الراجح أن هذه الطيور ووضعتها على مقبض هذا الإبريق وهى تتجه الى الجهات الأربعة كانت ترمز الى الاتجاهات الأربعة (الشرق والغرب والشمال والجنوب) وهى إشارة ومدلول واضح على أن الكون كله لله وبإيد الله وإلى الله يصير وأن المشرق والمغرب والشمال والجنوب بيد الله وهى توافق قول الله تعالى فى سورة البقرة آية ١١٥ (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) خاصة لو وضعنا فى الإعتبار أن هذا الإبريق كان يستخدم فى الوضوء الذى هو مفتاح الصلاة التى هى أساس العبادة .

نتائج الدراسة :

بعد تناولنا لبعض الزخارف التى كانت تزين الإبريق المنسوب الى مروان ابن محمد آخر خلفاء بنو أمية كان هناك النتائج التالية :

أولا : زخارف الأهله... كان يزين بدن الإبريق أشكال للأهله كانت ترمز الى المواقيت كما كانت ترمز الى الشهور العربية وكلاهما مرتبط بالعبادة .

ثانيا : لوحظ أن الأهله... كانت تزدان بعضها بسبع دوائر وبعضها بستة دوائر وهى ترمز الى أيام الأسبوع حيث كانت تعبر كل دائرة عن كوكب كما سبق ذكره .

ثالثا : الزخارف المشعة أو الدوائر المشعة ما هى إلا أشكال ترمز الى قرص الشمس التى ترمز بدورها الى السنة الشمسية وبالتالي ترمز الى العام .

٣٦- المقرئى : المرجع السابق ج ١ ص ٩

٣٧- المرجع نفسه : ص ١٤

٣٨- عبد العظيم أنيس : العلم والحضارة (الحضارات القديمة واليونانية) دار الكتاب العربى للطباعة والنشر

سنة ١٩٦٧ ص ١٥١

٣ ————— المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب

رابعا : كل من الشمس والقمر والنجوم أو الكواكب ترمز الى السماء كما عبر الفنان عن الأرض بزخارف المثلثات التي نفذها الفنان على قاعدتها وقد مثلها بدلا من تيجان الأعمدة .
خامسا : الدوائر العشر التي نفذت بين الرقبة والبدن ترمز الى الليالي العشر التي أقسم بها الله فى سورة الفجر كما يرمز الديك الذى وضع بين الدوائر العشر الى فجر كل يوم من الأيام العشر .

سادسا : يزين رقبة الإبريق سبعة عشر دائرة وهى ربما ترمز الى مدلول فلكى حيث ترمز الى البروج السبعة عشر .

سابعا : يعلو مقبض الإبريق أربعة طيور تتجه صوب الإتجاهات الأربعة ، وهذه الطيور ترمز الى الجهات الأربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب .

ثامنا : هذه الدراسة تقوى الى حد بعيد نسب هذا الإبريق الى العصر الإسلامى كما تقف دليلاً على التقدم العلمى لدى المسلمين وإزدهار علوم الحساب والفلك كما تقف دليلاً على ورع المسلمين وتنفيذ زخارفهم بشكل يناسب عقيدتهم .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

ابن كثير (أبى الفدا إسماعيل) ت سنة ٧٧٤ :

تفسير القرآن العظيم الجزء الأول . مكتبة التراث - بدون تاريخ

قصص الأنبياء ، مطبعة الأخوة بجدة - بدون تاريخ .

ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد الأنصارى) : ت سنة ٧١١هـ :

لسان العرب تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف

البيرونى (أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى) :

الآثار الباقية عن القرون الخالية ، -- لبيزج سنة ١٨٧٨

القرطبى (أبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى) ت سنة ٦٧١هـ :

الجامع لأحكام القرآن ، الجزء التاسع - الهيئة المصرية العامة

للكتاب سنة ١٩٨٧

الفيروز أبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى) ت سنة ٨١٧هـ :

القاموس المحيط - الجزء الرابع - الهيئة المصرية العامة للكتاب

سنة ١٩٨٠

٣ ————— المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب

المقريزى (تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) ت سنة ٨٤٥ هـ :
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - الجزء الأول ، طبعة
مكتبة الآداب سنة ١٩٩٦ .

أحمد عبد الرحمن عابدين : الفأل"دراسة فى المضمون الدينى وأثره فى الحياة السياسية
والاجتماعية فى بلاد النهرين " - مخطوط ماجستير غير منشور -
المعهد العالى للحضارات الشرق الأدنى القديمة ، - بلاد النهرين -
جامعة الزقازيق سنة ٢٠٠٠ .

السيد سابق : فقه السنة، المجلد الأول (العبادات) مكتبة التراث سنة ١٣٦٥ .
حسن باشا : القاهرة تاريخها وأثارها - القاهرة سنة ١٩٧٠
سعاد ماهر : الفنون الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ .
عبد العظيم أنيس : العلم والحضارة (الحضارات القديمة واليونانية) دار الكتاب العربى للطباعة
والنشر، سنة ١٩٦٧ .

عبد الرحمن زكى : العلم المصرى، مطبعة وزارة الدفاع الوطنى، سنة ١٩٤٠ .
عفيف بهنسى : معانى النجوم فى الرقش العربى (بحث) ضمن أعمال الندوة العالمية المنعقدة
فى استانبول ٠ ابريل سنة ١٩٨٣ ، دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٩ .
محمد عبد القادر محمد : إيران منذ فجر التاريخ وحتى الفتح الاسلامى ، الطبعة الأولى ، مكتبة
الانجلو سنة ١٩٨٢ .

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية مصر قبل العصر الفاطمى - الطبعة
الأولى - مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٤ .

المراجع الأجنبية المعربة :

إرثر كريستنسن : إيران فى عهد الساسانيين - ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب سنة ١٩٩٨ .

جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية ، ترجمة أمين سلامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
سنة ١٩٩٦ .

كوملان : الأساطير الاغريقية والرومانية ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب سنة ١٩٩٢ .

المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ٣ —

A. H. Smith : (M.A.) : A catalouge of sculpture in dipartment of Roman Antiquities, British museum , London 1904

Gardinr (A.) Egyptian Grammer , 3rd Edition, Oxford 1979

Rachel (H.) An Enamelled bowl with (soloman's seal) the meaning of pattern (Gilid and enamled Glass from middle east, British museum 1998